

نظام العمالة المهاجرة الافريقية الى مناجم الذهب في جنوب أفريقيا

African Migration System to South Africa Gold Mines

أ. رضوى زكريا رضوان

باحثة دكتوراة

كلية الدراسات الافريقية العليا – جامعة القاهرة

radwa_zakaria@hotmail.com

تاريخ النشر : 2021/05/ 25

تاريخ الاستلام: 2021/03/ 30

ملخص:

تم اكتشاف الذهب في منطقة الترنسفال في جنوب أفريقيا عام 1886، وسرعان ما أصبحت من أغنى الوحدات السياسية في جنوب أفريقيا. وفي ظل احتياج المناجم الشديد للعمالة الوطنية للقيام بالأعمال غير الماهرة، فقد تولى رجال الاعمال عملية امداد المناجم بهذه العمالة من مختلف انحاء الجنوب الافريقي نظير مقابل مادي عن كل عامل.

وببدء العمل في مناجم الذهب، وإزياد الطلب على العمالة الوطنية الافريقية، اقبل الافارقة على العمل في المناجم بعد ضغط كبير من البيض، وتركوا قبائلهم ليدخلوا الى العالم الصناعي. وقد أدى خروج الافارقة للعمل لدى البيض في المناجم الى تأثيرات كثيرة حيث قلت فاعلية قوانين القبيلة التي تحكم تحركات الافارقة، وبدأت سلطة القبيلة تقل على هؤلاء العمال الذين لم يعودوا يشعرون بضرورة تقديم الولاء لزعيم القبيلة بعد ان تعلموا العمل في ظل اسيااد جدد.

الكلمات الافتتاحية: مناجم الذهب – العمالة المهاجرة – موزمبيق – غرفة المناجم – مؤسسات التوظيف.

Abstract: Gold was discovered in the Transvaal region of South Africa in 1886, and it quickly became one of the richest political units in South Africa. Considering the severe need of the mines for national labour to do unskilled work, businessmen took over the process of supplying mines with these labours from various parts of southern Africa in exchange for a fee for each labour.

With the start of work in gold mines, and the increase in the demand for African national labour, Africans began to work in the mines after great pressure from the whites and left their tribes to enter the industrial world. The exit of Africans to work for whites in the mines had many effects, as the effectiveness of the tribe's laws governing the movements of Africans decreased, and the tribe's authority began to

diminish those labour who no longer felt the need to pledge allegiance to the tribe's leader after learning to work under new masters.

Keywords: Gold mines – Migrant labours - Mozambique – Chamber of mines – Employment organizations

1. مقدمة

يرتبط تاريخ العمالة المهاجرة في جنوب إفريقيا بشكل كبير بالتطور الرأسمالي للإنتاج في بداية الاستعمار. ولأن الإنتاج الرأسمالي بدأ حول المزارع والتعدين، فإن هذين القطاعين، وخاصة القطاع الأخير، هو الذي لعب دوراً رئيسياً في تطور العمالة المهاجرة داخل المنطقة¹. وكان تطوير صناعة التعدين هو حجر الزاوية لرأسمالية جنوب إفريقيا، وهو عبارة عن عملية سريعة لمركزية رأس المال، والذي تراكم على أساس نظام العمالة المهاجرة المستمدة من منطقة الجنوب الأفريقي الأوسع، حيث خلقت الاحتكارات المبكرة لصناعة التعدين الظروف لإقامة سيطرة احتكارية مخططة ومؤسسية لتوظيف العمالة المهاجرة. وقد تم تعزيز هذا الاحتكار من خلال الاتفاقيات بين جنوب إفريقيا وبين الدول الموردة لضمان الاستقرار والتكاثر المستمر لهذه القوى العاملة. وبالتالي، فإن العمالة المهاجرة تعتبر نظام قد شكل ولا يزال يشكل حجر الأساس لتراكم رأس المال في صناعة التعدين².

جدير بالذكر أن تاريخ هجرة العمال في جنوب إفريقيا يعود إلى خمسينيات القرن التاسع عشر، عندما هاجر عدد كبير من العمال للعمل في مزارع السكر في ناتال، حيث كانت الرأسمالية الاستعمارية البريطانية مازلت تتشكل. ثم أدى اكتشاف الماس في كيمبرلي في عام 1870 إلى تدفق أعداد كبيرة من العمال من شتى أنحاء جنوب إفريقيا إلى المناجم الجديدة، والتي قدمت أجور للعمال أفضل من المزارع³.

وعندما تم اكتشاف الذهب في إقليم الترنسفال عام 1886، أدى ذلك إلى استخدام نظام العمالة المهاجرة على نطاق أوسع بكثير مما هو عليه في كيمبرلي. وذلك نظراً لأن طبيعة الشعاب الذهبية في مناجم جنوب إفريقيا عميقة جداً ودرجة الخام منخفضة، مما يؤدي إلى ارتفاع كبير في تكاليف الإنتاج. وبالتالي، فإن احتياطات رأس المال القوية والعمالة الرخيصة الكافية كانت ضرورية لجعل التعدين عملاً قابلاً للتطبيق. ولذلك كان يجب الحصول على إمدادات كافية من العمالة الرخيصة من خلال إطلاق حملة توظيف واسعة للغاية، خاصة في البلدان المجاورة التي كانت فرص العمل بها محدودة وبالتالي كان العمال على استعداد للعمل بأجر أقل من العمال المحليين من جنوب أفريقيا⁴.

ومع بدء اكتشاف الذهب في الترنسفال، ومع تصاعد الطلب على توظيف العمال بكثافة، نستطيع القول أنه كان هناك نوعين من هجرة العمال، الهجرة الداخلية وهي هجرة العمال القادمين من المناطق المختلفة داخل جنوب

أفريقيا، وهجرة خارجية وهي هجرة العمال من خارج حدود جنوب أفريقيا للعمل داخل مناجم الذهب في جنوب أفريقيا.

وفي هذا السياق يجب ان نشير الى ان "مصطلح المهاجر" هو المصطلح المستخدم عموماً لوصف تلك الفئة من العمال التي تنتقل من منطقة إلى أخرى بحثاً عن عمل. وعادة ما ينطوي وجود العمالة المهاجرة على اقتصاد مدفوع الأجر، وتغيرات موسمية في الطلب على العمل، والأشخاص المستعدين للهجرة الذين يعتمدون كلياً على العمل المأجور.⁵

أولاً - الهجرة الداخلية

على الرغم من وجود العديد من عوامل الجذب للعمال من داخل جنوب أفريقيا، والتي كان من أهمها الأجر المرتفعة، فقد كان هناك عوامل أخرى دفعت الافارقة لتترك قراهم والذهاب للعمل في المناجم. حيث نجد أن هجرة العمال الأفارقة إلى المناجم مرتبطة بالضغوط المالية التي يتعرضون لها للحصول على أموال مقابل الضرائب والإيجارات وتوفير متطلبات الاستهلاك الجديدة والصعوبات المتزايدة التي يواجهونها. بالإضافة الى أن وباء الطاعون البقري الذي اجتاحت جنوب إفريقيا خلال 1896-97 ، والذي أدى إلى تدمير 80% أو أكثر من الماشية الأفريقية، قد أنهى فعلياً استقلال العديد من الأفارقة عن نظام العمل لدى الاوروبيين. وخلال هذه الفترة اضطرت شركات التعدين إلى دفع أجور عمالها أكثر مما كانت متاحة في أي مكان آخر.⁶

كما تم اجبار المواطنين من داخل جنوب أفريقيا على العمل في المناجم، من خلال تطبيق عدد كبير من الضرائب على جميع "الذكور البالغين". ومن اجل دفع هذه الضرائب النقدية، كان على الأفارقة أن يكسبوا نقوداً، وكان هذا يعني دائماً في تلك الفترة ترك قراهم للعمل لدى الأوروبيين. وإذا فشلوا في دفع الضريبة فيجب أن يعاقبوا بشكل طبيعي، ويتم معاقبتهم بالسجن.⁷

وعندما أصبح من الواضح أن هذه الضرائب لم تسفر عن تدفق كاف لليد العاملة في المناجم، تم استخدام تدابير إضافية، من أهمها، مصادرة الأراضي من الفلاحين، حيث حصل المستوطنون البيض على الأراضي الخصبة في مناطق تساقط الأمطار، في حين تم إعادة توطين الأفارقة في الأراضي الفقيرة، قليلة الأمطار، والتي أصبحت مزدحمة بسبب صغر مساحتها مقارنة بعدد الافارقة الذين يعيشون فيها.⁸

وأحياناً كان يتم اجبارهم عن البحث عن عمل خارج المعازل تحت التهديد بالقبض عليهم واتهامهم بجرائم عدم دفع الضرائب. او بسبب الجوع، وكانوا يتقاضون أجور قليلة كما لو انهم ليس لديهم عائلات لإعالتهم. تلا ذلك قرار الحكومة ان العمالة المهاجرة تشكل الأساس الوحيد لتوظيف الافارقة في المناطق الحضرية.⁹ ومن أجل هذا الغرض تم تأسيس مؤسسة توظيف مسئولة عن توظيف العمال من داخل جنوب أفريقيا وهي (NRC)¹⁰

كذلك نجد أن العمال الافارقة في جنوب أفريقيا قد تجنبوا العمل في المناجم بسبب تجاربهم الخاصة أو بسبب القصص التي يرويها آخرون عن ظروف العمل السيئة في المناجم، وحالات الوفيات الكبيرة بين العمال نتيجة الامراض

والحوادث المتكررة. ولمواجهة هذا النقص في اليد العاملة، لجأ موظفو التعدين إلى رشوة رؤساء الأسر والقبائل الأفريقية من أجل الحصول على العمالة اللازمة¹¹.

ثانياً - الهجرة الخارجية

كان أهم مورد للعمالة الأفريقية بالنسبة لجنوب أفريقيا هي منطقة شرق أفريقيا البرتغالية (موزمبيق). ولقد كان سقوط جازا¹² في موزمبيق على يد البرتغاليين في عام 1895، يعني أن حكومة ترانسفال يمكنها الآن الدخول في اتفاق مع السلطات البرتغالية هناك بشأن تحديد مصادر العمالة المهاجرة. وبالفعل تم التوقيع على أول اتفاق رسمي بين السلطتين في عام 1897. وتم إنشاء رابطة توظيف العمال المحليين في Witwatersrand (WNLA)¹³ من أجل توظيف العمال من خارج حدود جنوب أفريقيا.

لذلك نجد أنه بين عامي 1890 و1899، ارتفع العدد الإجمالي للأفارقة العاملين في مناجم الذهب من حوالي 14.000 إلى 97.000، وعلى الرغم من أن عدد كبير من هؤلاء العمال جاءوا من جميع أنحاء جنوب أفريقيا، إلا أن معظم عمال المناجم جاءوا من شرق إفريقيا البرتغالية، خصوصاً بعد حرب البوير (1899-1902) نجد أن نحو 60% من العمال غير المهرة في مناجم الذهب كانت من موزمبيق. وظلت الاتفاقية الموقعة بين جمهورية جنوب أفريقيا والسلطات في شرق إفريقيا البرتغالية عام 1897 سارية لأكثر من قرن. ونظراً لأن شرق إفريقيا البرتغالية كانت تعتبر منطقة توريد عمالة مهمة للغاية، فقد تم إعادة تأكيد هذه الاتفاقية في عام 1901 من خلال التوقيع على ما يسمى Modus Vivendi بين المسؤولين البريطانيين والسلطات البرتغالية في موزمبيق والتي تم تجديدها أكثر من مرة على مدار السنوات الطويلة¹⁴. ولعقود عديدة، كان الموزمبيقيون بالفعل هم المصدر الرئيسي للعمالة في مناجم جنوب إفريقيا¹⁵. ولكن نجد أنه على الرغم من الاتفاق مع السلطات البرتغالية في موزمبيق بشأن العمالة المهاجرة، كان لا يزال هناك نقص مستمر في اليد العاملة.

لهذا نجد أنه كان هناك توظيف للعمال من العديد من المناطق الأخرى في الجنوب الأفريقي، روديسيا الجنوبية، نياسالاند، تنجانيقا، ناميبيا.. وغيرها. ولكن بحلول عام 1913 فرض حظر على توظيف العمال من المناطق "الاستوائية"، وهي البلدان شمال خط العرض 22 للعمل في جنوب أفريقيا¹⁶، حيث كان العمال يموتون بأعداد كبيرة نتيجة الالتهاب الرئوي والسل وأمراض الرئة الأخرى¹⁷. وهذه البلدان شملت الأجزاء الشمالية من موزمبيق، روديسيا الجنوبية والشمالية (زمبابوي وزامبيا على التوالي اليوم)، بيتشوانالاند (بوتسوانا اليوم)؛ جنوب غرب أفريقيا (ناميبيا اليوم)؛ تنجانيقا (تنزانيا اليوم) ونياسالاند (ملاوي اليوم). وجدير بالذكر أنه قد تم رفع هذا الحظر على "المناطق الاستوائية" في أوائل ثلاثينيات القرن العشرين، حيث ادّعى ملاك المناجم أنه قد تم التوصل إلى علاج للالتهاب الرئوي بفعالية¹⁸. ولذلك كانت موزمبيق هي المورد الأساسي للعمالة في معظم الأحيان.

نستطيع القول أن كل دول منطقة الجنوب الأفريقي تقريباً قد أرسلت عمال للعمل في مناجم جنوب إفريقيا في وقت ما. وبناء عليه يمكننا أن نحدد ثلاث أنواع من البلدان الموردة للعمالة:

1 - بلدان التوريد طويلة الأمد مثل موزمبيق، وبوتسوانا، وليسوتو، وسوازيلاند.

2 - بلدان التوريد قصيرة الأمد مثل ملاوي وزيمبابوي.

3 - بلدان التوريد الموسمية مثل زامبيا وتزانيا وأنغولا

وفي هذا الإطار من الملاحظ ان إحدى الخصائص الرئيسية لنظام العمالة المهاجرة، قد تمثلت في حرمان العمال المهاجرين من حقوقهم الدائمة في العمل أو الإقامة في جنوب إفريقيا، وذلك بغض النظر عن المدة الإجمالية لعملهم بموجب العقود، أو الروابط الأسرية أو الروابط الاجتماعية الراسخة التي تربطهم بجنوب إفريقيا. كما أُجبر المهاجرون على العودة إلى بلدانهم الأصلية عند الانتهاء من عقودهم، حتى وان كان ذلك فقط لفترة التفاوض على عقود جديدة لنفس الوظيفة. ومع ذلك، كان هذا النظام في مصلحة كل من رأس المال والدولة. كما كان متوافقاً مع سياسة حكومة جنوب إفريقيا لمنع توطين الأفارقة في المناطق الحضرية¹⁹.

ومع رحيل العمال الصينيين²⁰ النهائي من مناجم الذهب في عام 1910، كان يجب ان يكون هناك نظاماً محدداً لضمان استمرار توفير اليد العاملة للمناجم. واعتمدت غرفة المناجم طريقتين لذلك، أولاً، تجنيد العمال بشكل منهجي من شمال حدود جنوب أفريقيا، ثانياً، مناشدة لحكومة جنوب أفريقيا لإجبار السود في داخل جنوب أفريقيا عن طريق التشريع لتصبح جزءاً من الاقتصاد النقدي عن طريق دخول العمل المأجور.

1- بالنسبة للطريقة الأولى، كانت WNLA مفيدة في جلب العمال من المناطق الحدودية الشمالية الى جنوب أفريقيا²¹. ولكن منذ عام 1913 ومع حظر توظيف العمال من المناطق "الاستوائية"، وهي البلدان شمال خط العرض 22 للعمل في جنوب أفريقيا كما ذكرنا سابقاً، أصبح الاعتماد الأكبر في توريد العمالة للمناجم على موزمبيق²².

2- بالنسبة للطريقة الثانية، فلقد ساعدت حكومة جنوب أفريقيا المناجم عن طريق تمرير ثلاث فئات من القوانين التي أجبرت الافارقة على الانضمام إلى الإنتاج الرأسمالي في المناطق الحضرية، وفي نفس الوقت يجبرهم على ترك عائلاتهم في المعازل:

أولاً: تم تمرير القوانين لتنظيم شراء الأراضي واحتلالها (منازل العائلات الريفية التي نشأ فيها عمال المناجم)، مثل قانون الأراضي لعام 1913، الذي حدد فئتين من الأراضي عن طريق التمييز القانوني الواضح بين الأراضي البيضاء (المزروعة) والمعازل الأفريقية، وينص على أنه لا يمكن نقل أي أرض من فئة إلى أخرى. بالإضافة إلى ذلك، لم يعد يُسمح للأفارقة بشراء الأراضي داخل المناطق البيضاء (والعكس بالعكس) أو استخدام الأراضي البيضاء بأي شكل من الأشكال غير العمل، وبالتالي يحظر فعلياً زراعة المحاصيل الأفريقية فيها. وتمثل الأرض المنسوبة إلى المعازل 7% فقط من إجمالي الأراضي. على الرغم من تمديدها إلى 13% في عام 1926، إلا أنها كانت كافية لتحقيق هدفها المتمثل في تقييد "استخدام الأراضي من قبل الأفارقة لزيادة استخدام الافارقة كعمال.

ثانياً: تم تمرير القوانين لتنظيم ظروف العمل لعمال المناجم. تشمل العديد من القوانين منها، قانون المناجم والأعمال لعام 1911، الأمر الذي يضمن شريط الالوان للأعمال المختلفة²³، ويضع الأفارقة في أدنى

مستويات العمل غير الماهر في مجال المناجم. أيضاً جرم قانون تسجيل العمال الأصليين خرق العقود، ورسخ قانون التمييز العنصري باعتباره متلقي الشكاوى المتعلقة بالمناجم.²⁴ ثالثاً، قوانين لتقييد حركة العمال، مثل قوانين المرور حيث تمنع حرية الحركة وتكوين الجمعيات بالنسبة للأفارقة. وقانون المناطق الحضرية لعام 1923، كان هذه القانون لتنظيم حركة عمال المناجم (في الواقع كل العمال السود) بين منازلهم وأماكن عملهم، كما أغلق قانون التوفيق الصناعي غطاء التمثيل السياسي الأفريقي في المناجم، فرض الضرائب المختلفة التي أجبرت العمال على الاقتصاد النقدي.²⁵

ثالثاً - طرق توظيف العمال

مما سبق يمكننا القول أن العمل في مناجم الذهب صعب للغاية إلا باستخدام العمالة الرخيصة غير المتحضرة. حيث كان يتم الحصول على كامل القوى العاملة غير الماهرة من معازل السكان الأفارقة في جنوب إفريقيا، ومن بقية الجنوب الأفريقي. كما أنشأت المناجم منظمة ضخمة تتكون من أكثر من 120 مركز تجنيد، منتشرة في جميع أنحاء جنوب إفريقيا، بعضها في الغابة الاستوائية النائية حيث يتم إجراء اتصالات منتظمة فقط عن طريق الراديو والتي يمكن من خلالها نقل الأفارقة على طول الطريق صعب المسارات أو عن طريق المراكب النهرية. وجدير بالذكر أن انخراط الأفارقة في العمل في المناجم كان بموجب نظام العقود لمدة عام تقريباً، حيث كان الأفارقة يعودون إلى قراهم بعد انتهاء مدة العقد، ولكنهم يعودون مرة أخرى للعمل في المناجم وبعضهم يعود حتى ثمان مرات.²⁶

ولذلك تكونت العديد من الشركات للإمداد بالعمال، والتي تتولى التعاقد مع الزعماء الأفارقة لتوفير أعداد متزايدة من العمال. كانت هذه الشركات تقدم الاغراءات للعمال الأفارقة حتى يقبلوا توقيع العقود معها، وقدمت ضماناً لحد أدنى من الأجور لهم، ولكنها لم تحمهم من الاستغلال البشع الذي استنزف طاقتهم في المناجم، ولا من اخطار الإصابة والموت تحت الأنقاض في كثير من الأحيان، حيث كان على الأفارقة القيام بالأعمال الشاقة غير الفنية والتي تتطلب مجابهة الاخطار الكبيرة.²⁷

فقد قامت هذه الشركات بإرسال الوكلاء إلى أجزاء كثيرة من القارة الكبرى، بما في ذلك مناطق شاسعة عبر زامبيزي، وحتى إلى أوغندا وممتلكات بريطانية أخرى شمال خط الاستواء.²⁸ وكان هؤلاء الوكلاء يستخدمون الديون والأجور المزيفة ووعود ظروف العمل الجيدة ورشوة المسؤولين لإقناع الأفارقة بالموافقة على العمل. ويدفع هؤلاء الوكلاء للعمال أقل بكثير مما يأخذون من ملاك المناجم.²⁹

كان يتم استخدام العديد من الطرق لتوظيف العمال، منها على سبيل المثال، ان تقوم وكالات التوظيف بإعطاء العامل الأفريقي مبالغ مالية مقدماً مثلاً 20 إسترليني على ان يقوم بتسديدها من عمله، وعندما يذهب العامل للعمل في المناجم بناء على عقد مدته عام. لا يكفي هذا العام لسداد دينه فتقوم هذه الشركات بإعادته مرة أخرى الى المناجم بعقد جديد لمدة عام اخر، ويتم تجديد هذا العقد إذا لم يفي العامل بدينه. ومع الوقت يجد العامل نفسه قد فقد حريته نتيجة الديون المتراكمة عليه واجباره على العمل حتى يستطيع الوفاء بها.³⁰

وفي محاولة من حكومة جنوب أفريقيا لتأسيس منظومة توظيف على أساس قوي، بدأت بإنشاء غرفة المناجم في الترنسفال، التي بدورها بدأت في تأسيس منظومة توظيف متماسكة. ومنذ عام 1899 بدأت تأسيس نمط محدد للهجرة³¹. وتم تقديم أول تشريع للسيطرة على الوضع الفوضوي والإشراف عليه في كيب في عام 1899 وفي ترانسفال في عام 1907³².

نجد أن أهمية هذه المنظومة بالنسبة إلى غرفة المناجم وملاك المناجم، تتمثل في العديد من الأمور:

1 - نظام التجنيد لم يوقف النقص الكامل في العمالة، لكنه تمكن من جلب آلاف الرجال من الدول الأخرى للعمل في المناجم.

2 - استفادت غرفة المناجم بطريقة أخرى من العمال المهاجرين حيث إنهم كانوا يأتون من مناطق بعيدة مما يجعلهم على استعداد للبقاء في المناجم لمدة تصل إلى 12 شهراً قبل أن يأخذوا رحلة طويلة للعودة إلى الوطن مرة أخرى. وقد توافق هذا مع رغبات أصحاب المناجم لما فيه من توفير نفقات التوظيف إذا بقي العمال في المناجم لفترة طويلة.

3 - كما يوقف نظام التوظيف أيضاً التنافس بين المناجم للحصول على العمالة الأفريقية.

4 - بالإضافة إلى أنه كان يمكن تقليل مرتبات العمال من جنوب أفريقيا مع تدفق العمالة القادمة من خارج جنوب أفريقيا. وجدير بالذكر أن العمال كانوا يتدمرون من أن هذا النظام الوظيفي قد منعهم من التفاوض على الاجر مع ملاك المناجم³³.

ولقد كانت قضية العمالة مصدر قلق متزايد لصناعة تعدين الذهب، والتي كانت ولا زالت أكبر صناعة في الجنوب الأفريقي. وعلى الرغم من أن تعدين الذهب يمكن أن يكون مربحاً للغاية، إلا أن الاستثمارات الأولية المطلوبة كانت كبيرة وتحقق عائدات بطيئة. كما أدت الفضائح المالية المختلفة إلى تقليل ثقة المستثمرين الأجانب في العمل قبل حرب البوير "1899 - 1901"، والتي تم خلالها إغلاق أو تدمير معظم المناجم، كما أقفلت العديد من الشركات. علاوة على ذلك، كانت درجة الخام التي يمكن العثور عليه صعبة ومكلفة إلى حد كبير. وبعد انتهاء الحرب عادت حوالي ربع الصناعة فقط كما كانت عليه قبل الحرب، واضطرت المناجم إلى الحفر بشكل أعمق ولم يتمكنوا من رفع سعر الذهب لتغطية التكاليف المتزايدة، حيث كان يتم تحديد سعر الذهب عالمياً. وكانت المشكلة تكمن وفقاً للمناجم في نقص كبير في العمالة غير الماهرة، والذي لم يكن نقصاً فعلياً في عدد الأشخاص، بل نقص الرجال المستعدين للعمل في المناجم الخطيرة ذات الأجور السيئة³⁴.

وقد تركزت معظم الجهود المبذولة لمعالجة هذه المشكلة في تأمين العمالة من خارج الترنسفال، ولم تركز على تحسين ظروف العمل بالمناجم. ونجد أنه منذ تسعينيات القرن التاسع عشر، قامت غرفة المناجم بتنسيق جهود التوظيف من خلال (WNLA). حيث كان العمال غير المهرة الذين تم توظيفهم في المناجم أفارقة بالكامل تقريباً، وعادة من موزمبيق المجاورة. وبعد أن تم التفاوض مع البرتغاليين في عام 1901 حول طريقة جديدة لضمان الإمداد الثابت، جاء 66.3% من جميع عمال المناجم غير المهرة من شرق إفريقيا البرتغالية من خلال تجنيد WNLA. وبحلول ديسمبر

1903، كان عدد العمال غير المهرة في المناجم 60% فقط من مستوى ما قبل الحرب، الذي كان، حتى في ذلك الوقت، غير كافٍ³⁵.

منذ البداية كان حجر الزاوية في سياسة توظيف العمال في المناجم هو نظام العمالة المهاجرة، والتي كانت تفرض على العامل الذي يرغب في الحصول على وظيفة في منجم أن يوقع على عقد عمل يحدد الحد الأدنى من العمل المطلوب والحد الأدنى من الأجور. وتتراوح مدة العقد من حوالي 9 أشهر للعمال الذين يتم توظيفهم من داخل جنوب إفريقيا، حتى 15 شهر للعمال الآخرين من أماكن أخرى. وعند انتهاء مدة العقد يتم إعادة العمال إلى منازلهم قبل السماح لهم بالتقدم للحصول على مهمة وظيفية أخرى في المناجم. وهذا منع العديد من عمال المناجم الإفارقة من أن يصبحوا مدنيين بصفة دائمة كما أعلنت غرفة المناجم³⁶.

بالإضافة إلى الهجرة التي تتم بعقود للعمل في المناجم، يمكننا تحديد فئات أخرى من الهجرة الطوعية عبر الحدود بين جنوب إفريقيا والدول المجاورة لها، منها:

1 - عمال مصرح لهم: المقيمون بصفة مؤقتة بتصريح، والزائرون، وأصحاب الأعمال، أو الدراسة، أو الرعاية الطبية، أو تصاريح العمل.

2 - عمال غير مصرح لهم: العمال الذين دخلوا جنوب إفريقيا سراً بدون وثائق صحيحة أو أي وثائق، أو حصلوا على أوراق مزورة قبل الدخول أو بعده، وأيضاً العمال الذين دخلوا جنوب إفريقيا بشكل قانوني، لكن تصاريحهم انتهت، وبالتالي أصبحوا أشخاصاً محظورين، أو العمال المتعاقدين الذين مكثوا بشكل غير قانوني في البلاد بعد انتهاء عقودهم³⁷.

يمثل نظام العمالة المهاجرة بالنسبة لأصحاب المناجم القدرة على التحكم في العمال داخل وخارج العمل. وحيث أنه لا يُسمح للعمال قانوناً بالإقامة الدائمة في أماكن عملهم، فقد طورت شركات جنوب إفريقيا شكلاً من أشكال مجتمعات الإسكان على نطاق واسع مما يقلل التكاليف مع زيادة السيطرة الاجتماعية إلى الحد الأقصى. وتم إدخال هذا النظام في جنوب إفريقيا في مناجم الماس (حوالي عام 1870). بموجب هذا النظام، تم إيواء جميع العمال السود في المناجم في بيوت كبيرة تشبه الثكنات، كان الدخول والخروج منها يخضع لرقابة صارمة؛ وحتى معظم أنشطة العمال كانت خاضعة للرقابة قبل أن يتمكن العامل من مغادرة الوظيفة³⁸.

كان يُنظر إلى المجتمعات السكنية المغلقة على أنها ضرورة للسيطرة على سرقة الماس وشرائه غير المشروع. ولكن بمرور الوقت أثبتت فعاليتها في خفض تكاليف إطعام العمال وإسكانهم، وزيادة مراقبتهم. وقد كان العمال السود هم فقط من يتم إيواؤهم في هذه الهياكل الشبيهة بالثكنات، وفصلهم عن العمال البيض، وتعميق الهوة بين العمال المهرة وغير المهرة، وتقليل احتمالية وجود شكل من أشكال التنظيم والعمل الطبقي. نتيجة لهذه "المزايا"، تم اعتماد المجتمع السكني كعنصر أساسي في صناعة تعدين الذهب، والتي تطورت في بعد اكتشاف الذهب عام 1886، ولكن لم تكن المجتمعات في مناجم الذهب مغلقة بالكامل، ولكنها استخدمت المبادئ "القبلية" لكل من الإقامة والسيطرة لإبقاء العمال منقسمين³⁹.

كانت هذه المجمعات السكنية أداة رئيسية للسيطرة على القوى العاملة المهاجرة الضخمة وتأديتها. بالإضافة إلى ذلك مكنت من توفير السكن والغذاء بشكل اقتصادي. وفي الوقت نفسه ساعدت على مواجهة تشكيل الهوية البروليتارية المشتركة والتضامن من خلال إسكان المجموعات القبلية المختلفة بشكل منفصل، كما ساعد على ذلك ارتفاع معدل تبديل العمال⁴⁰.

جدير بالذكر أن هذا النمط من الاستخدام الواسع النطاق للعمالة الرخيصة والتحكم في العمالة عن طريق القوانين والمجمعات السكنية، كان بداية نظام سيطر على العمالة المهاجرة في جنوب إفريقيا لأكثر من قرن⁴¹.

نستطيع أن نقول أن تقديم نظام للعمالة المهاجرة وتوسيع نطاقه يخدم هدفين رئيسيين لصناعة التعدين، فمن ناحية حصلت على إمداد ثابت من العمالة غير الماهرة، ومن ناحية أخرى، خفضت تكلفة الأجور الأفريقية. وعلى الرغم من الجهود المتكررة والمتضاربة التي بذلتها صناعة التعدين من أجل مركزية سوق العمل والسيطرة عليه، ظل التوظيف "مؤسسة غير مستقرة ومكلفة ومليئة بالصراعات" حتى عشرينيات القرن العشرين. حيث كان الوضع يتسم بالتنافس على العمل بين المناجم، والافتقار إلى السيطرة على سوق العمل بسبب قوة التوظيف والمقاولين المستقلين بالإضافة إلى المنافسة مع أشكال العمل الأخرى⁴².

كما اتاح نظام العمالة المهاجرة في جنوب إفريقيا للمناجم دفع أجور منخفضة وإنشاء "جيش احتياطي للعمل". وليس هناك شك في أن دعم صناعة التعدين واحتياجها المستمر للعمالة المهاجرة قد ساعد على خفض الأجور الأفريقية إلى ما دون مستويات الكفاف⁴³.

رابعاً - تأثير هجرة العمال على المجتمعات الأفريقية

تم إجراء الكثير من الأبحاث حول التأثير السلبي لهجرة الشباب على التنمية الريفية. وقد أسفرت أنماط الهجرة هذه عن تكاليف اجتماعية كبيرة للأسر والمجتمعات المحلية، حيث كانت الأسر مجزأة وتركت النساء والأطفال مع العبء الإضافي لعمل الذكور التقليدي⁴⁴.

كانت شدة الطلب على العمال الأفارقة وتنظيم أصحاب المناجم لعمليات نقل العمال من مختلف أنحاء الجنوب الأفريقي، ذات أثر كبير في أحداث تحول اجتماعي خطير، حيث خرج العمال الأفارقة من ديارهم للعمل في المناجم يحدوهم أمل ادخار بعض المال والعودة إلى القبيلة. ولكن اكتشف العامل الأفريقي أنه صار مكبلاً بقيود كبيرة، حيث صار انتقاله مقيداً بتصريح مرور، وصار مضطراً أن يمضي سنوات كاملة في المناجم دون أن يرى أبناءه وزوجته طبقاً للعقد. وأيضاً صار راتبه يتناقص تدريجياً⁴⁵.

باختصار، أود أن أقول إن نظام الهجرة، رغم أنه بلا شك ميزة اقتصادية قوية للمناجم نفسها. ولكن كان ذو تأثير سئ على العمال المهاجرين وأسرهم، كما كان يتفاعل أيضاً بشكل سلبي مع الاقتصاد العام للأفارقة⁴⁶. على الرغم من عودة المهاجرين بالأموال إلى قراهم، فقد كان على القرى تحمل عبء الحفاظ على أسرهم، وكذلك رعاية العمال العائدين أنفسهم عند انتهاء سنوات عملهم بسبب المرض أو الشيخوخة. ومع حرمان القبائل الأفريقية من أغلب

الرجال الاصحاء المناسبين لحرث الأرض والاعمال الشاقة في القبيلة، كان يتعين على النساء وكبار السن تحمل هذه المسؤولية⁴⁷. كما ان هجرة العمال تعمل على تحطيم الترابط الاسري في القرى الافريقية⁴⁸.

هذا بالإضافة الى العواقب الصحية السيئة، ولا سيما الأمراض طويلة الأمد وتفاقم الإصابات المسببة للإعاقة، والتي تعتبر تكلفة كبيرة على البلدان الموردة للعمالة. وفي بعض الأحيان، قد لا يظهر اعتلال الصحة إلا بعد انتهاء عقود العمل وعودة المهاجرين إلى أوطانهم. مما يؤدي إلى اضطراب الأسر الريفية وأنظمة الصحة العامة في البلدان المرسله إلى تحمل التكاليف الطبية المرتبطة بمثل هذا المرض الصحي⁴⁹.

في النهاية نستطيع أن نقول أن لنظام العمالة المهاجرة المتفشي دورًا أساسيًا في تشكيل الماضي والحاضر لاقتصاد ومجتمع جنوب إفريقيا وترك بصمات لا تمحى على منطقة الجنوب الافريقي بالكامل. لطالما اشتهرت جنوب إفريقيا بنظامها الراسخ للتمييز العنصري. لكنها أيضًا فريدة من نوعها من حيث مدى تشكيل التحضر والتصنيع والتحول الريفي بواسطة العمالة المهاجرة. لقد غدى كل من الهجرة والعنصرية بعضهما البعض لأكثر من قرن، مما شكل حياة وموت الملايين من الناس⁵⁰.

كان هذا النظام الفريد للاستغلال الفائق "في مكان ما بين نظام العبودية الفعلية ونظام العبودية الإقطاعية"، هو الأساس الذي نشأ عليه نظام الفصل العنصري. كما ان الرأسمالية استطاعت تحقيق الأرباح الهائلة من خلال الاستغلال الفائق للسكان الافارقة، ليس في جنوب أفريقيا على وجه التحديد، ولكن في جميع أنحاء المنطقة ككل⁵¹.

الهوامش والحواشي

¹ - Kanyenze, Godfrey: African migrant labour situation in southern Africa, Paper presented at the ICFTU-AFRO conference on 'MIGRANT LABOUR, Labour and Economic development research institute of Zimbabwe (LEDRIZ), Nairobi, 15-17 March 2004, p. 2

² - First, Ruth: The Mozambican Miner: A study in the export of labour, A study of export of labour), First published by Centro de Estudos Africanos (CEA), Maputo, 1977, P. 20

³ - Kanyenze, Godfrey: Op. Cit., p. 2

⁴ - Kok, Pieter and others (editors): Migration in south and southern Africa, HSRC press, south Africa, first published 2006, p. 73

⁵ - Union of south Africa: department of native affairs, report of the native laws commission 1946 – 48, published by authority, Pretoria, 1948, p. 33

⁶ - Warwick, Peter: African labour during the south African war 1899 – 1902, collected seminar paper, institute commonwealth studies, no. 21, 1977, p. 104 - 105

⁷ - Kanyenze, Godfrey: Op. Cit., p. 2

⁸ - Kanyenze, Godfrey: Ibid., p. 3

⁹ - Magubane, Bernard Makhosezwe: The political economy of race and class in South Africa, New York and London, 1979, p. 92

¹⁰ - أسست غرفة المناجم (NRC) native recruiting corporation ، في أكتوبر عام 1912 للعمل على توظيف العمال من داخل مناطق جنوب افريقيا.

¹¹ - Rabe, Maria Elizabeth: Black mineworkers' conceptualization of fatherhood: A Sociological exploration in the south African goldmining industry, Doctor degree of Literature and philosophy (sociology subject), university of south Africa, November 2006, p. 18

¹² - في عام 1895، تمت هزيمة إمبراطورية جازا (Gaza Empire) المقاومة للاستعمار، وهي مجموعة من قبائل السكان الأصليين الذين سكنوا المنطقة التي تشكل الآن موزمبيق وزيمبابوي

¹³ - Witwatersrand native labour association هي وكالة توظيف في جنوب إفريقيا ومنحت حقوقاً حصرية لتوظيف العمالة من منطقة الجنوب الإفريقي. أسست WNLA محطات توظيف في ناميبيا الحالية وبوتسوانا وزيمبابوي وزامبيا وملاوي، وليسوتو، وسوازيلاند، وموزمبيق. قامت ببناء طريق طوله 1500 ميل يربط محطاتها في ناميبيا وبوتسوانا.

Op. Cit., p. 73 - 74:¹⁴ - Kok, Pieter and others (editors)

Ibid., p. 74:¹⁵ - Kok, Pieter and others (editors)

Op. Cit., p. 19:¹⁶ - Rabe, Maria Elizabeth

'Blackbirding' at 'Crooks' Corner': Illicit Labour Recruiting in the :¹⁷ - Murray, Martin J. Northeastern Transvaal, 1910-1940, Journal of Southern African Studies, Vol. 21, No. 3 (Sep. 1995), Published by: Taylor & Francis, Ltd., p. 382

Op. Cit., p. 19:¹⁸ - Rabe, Maria Elizabeth

¹⁹ - Kok, Pieter: Op. Cit., p. 77

²⁰ - كان هناك نقص حاد وازمة كبيرة في أعداد العمال في المناجم بعد انتهاء حرب البوير (1899 - 1902)، نتيجة العديد من العوامل، وكانت هذه الازمة السبب المباشر لتوظيف العمال الصينيين للعمل في المناجم، و الذين رحلوا عن المناجم نهائياً بحلول عام 1910

²¹ - Rabe, Maria Elizabeth: Op. Cit., p. 19

²² - Rabe, Maria Elizabeth: Idem.

²³ - Rabe, Maria Elizabeth: Op. Cit., p. 21

²⁴ - Glover, Michael: Development as unfreedom: the role of development in the Transkei, 1886 - 1980s, Master of Arts in historical studies, faculty of humanities, university of cape town, 2015, p. 56

²⁵ - Glover, Michael: Idem

²⁶ - Blackwell, leslie and May: Henry John, This is south Africa, shuter & shooter, Pietermaritzburg, south Africa, 1947, p. 141

²⁷ - السيد فليل، التاريخ الاجتماعي و الاقتصادي لجنوب افريقيا "رحلة الانسان الافريقي من العنصرية الأوروبية الى الهيمنة الامريكية" 1853 - 2010، عين للدراسات و البحوث الإنسانية، الطبعة الأولى، 2011، ص 250

²⁸ - Philips, Lionel: Transvaal problems, some notes on current politics, john Murray, London, 1905, p. 41

²⁹ - Shillington, Kevin (editor): Encyclopedia of African history, vol. 3, p.z. index, fitzrog Dearborn, New York, 2005, p. 1423

³⁰ - Allen, V L: The history of black mineworkers in south Africa, Vol 1, the techniques of resistance 1871 - 1948, the mooe press, London, 1992, p. 163 - 164

³¹ - Shillington, Kevin (editor): Op. Cit., p. 1423

³² - Zogg, Philipp Emanuel: Who Mines What Belongs To All? A historical analysis of the relationship between the state and capital in the South African mining industry, Thesis presented in partial fulfilment of the requirements for the degree of Master of Arts (International Studies) in the Faculty of Arts and Social Sciences at the Stellenbosch University, south Africa, March 2011, p. 28 - 29

- ³³ - Callinicos, Iuli: A people's history of south Africa, gold and workers (volume one), published by raven press (pty) ltd., Johannesburg, south Africa, 1980, p. 35
- ³⁴ - Bright, R. K.: Chinese labour in south Africa 1902 – 1910, race, violence and global spectacle, Palgrave Macmillan UK, London, 2013, p. 23
- ³⁵ - Bright, R. K.: Ibid., p. 24
- ³⁶ - Harsch, Ernest: South Africa, white rule black revolt, Monad press, New York, 1980, p. 30
- ³⁷ - Kok, Pieter and others (editors): Op. Cit., p. 78
- ³⁸ - Massey, David: Class Struggle and Migrant Labor in South African Gold Mines, Canadian Journal of African Studies / Revue Canadienne des Études Africaines, Vol. 17, No. 3, Special Issue: South Africa (1983), Published by: Taylor & Francis, Ltd. on behalf of the Canadian Association of African Studies, p. 436
- ³⁹ - Delius, Peter: The History of Migrant Labor in South Africa (1800–2014), Oxford Research Encyclopedia of African History, May 2017, p. 2
- ⁴⁰ - Zogg, Philipp Emanuel: Op. Cit., p. 33
- ⁴¹ - Fine, Janice: Migration and Migrant Workers in the Post-Apartheid Era, Global labour journal, Vol. 5 No. 3, September 2014, p. 331
- ⁴² - Zogg, Philipp Emanuel: Op. Cit., p. 28 - 29
- ⁴³ - Zogg, Philipp Emanuel: Ibid., p. 32
- ⁴⁴ - Kok, Pieter and others (editors): Op. Cit., p. 77
- ⁴⁵ - السيد فليفل، مرجع سابق، ص 259 – 260
- ⁴⁶ - Union of south Africa: Op. Cit., p. 40
- ⁴⁷ - Union of south Africa: Ibid, p. 43
- ⁴⁸ - Duncan, David: The mills of gods, the state and African labour in south Africa 1912 – 1948, Witwatersrand university press, first published, Johannesburg, 1995, p. 112
- ⁴⁹ - Kok, Pieter and others (editors): Op. Cit., p. 77
- ⁵⁰ - Delius, Peter: Op. Cit., p. 1
- ⁵¹ - Jauch, Herbert and Muchena, Deprose: Tearing us apart: inequalities in Southern Africa, Open Society Initiative for Southern Africa, Johannesburg, 2011, p. 264

قائمة المصادر والمراجع

أولاً – الوثائق المنشورة

- Union of south Africa: department of native affairs, report of the native laws commission 1946 – 48, published by authority, Pretoria, 1948.

ثانياً – الكتب العربية

- دكتور/ السيد فليفل: التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لجنوب افريقيا "رحلة الانسان الافريقي من العنصرية الأوروبية الى الهيمنة الامريكية" 1853 – 2010، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2011

ثالثاً – الكتب الأجنبية

- Allen, V L: The history of black mineworkers in south Africa, Vol 1, the techniques of resistance 1871 – 1948, the moore press, London, 1992

-
- Blackwell, leslie and May, Henry John: This is south Africa, shuter & shooter, Pietermaritzburg, south Africa, 1947
 - Bright, R. K.: Chinese labour in south Africa 1902 – 1910, race, violence and global spectacle, palgrave Macmillan UK, London, 2013
 - Callinicos, luli: A people's history of south Africa, gold and workers (volume one), published by ravan press (pty) ltd., Johannesburg, south Africa, 1980.
 - Delius, Peter: The History of Migrant Labor in South Africa (1800–2014), Oxford Research Encyclopedia of African History, May 2017
 - Duncan, David: The mills of gods, the state and African labour in south Africa 1912 – 1948, Witwatersrand university press, first published, Johannesburg, 1995.
 - First, Ruth: The Mozambican Miner: A study in the export of labour, A study of export of labour), First published by Centro de Estudos Africanos (CEA), Maputo, 1977
 - Harsch, Ernest: South Africa, white rule black revolt, Monad press, New York, 1980
 - Jauch, Herbert and Muchena, Deprose: Tearing us apart: inequalities in Southern Africa, Open Society Initiative for Southern Africa, Johannesburg, 2011,
 - Kok, Pieter and others (editors): Migration in south and southern Africa, HSRC press, south Africa, first published 2006
 - Magubane, Bernard Makhosetwe: The political economy of race and class in South Africa, New York and London, 1979
 - Philips, Lionel: Transvaal problems, some notes on current politics, john Murray, London, 1905
 - Shillington, Kevin (editor): Encyclopedia of African history, vol. 3, p.z. index, fitzrog Dearborn, New York, 2005

رابعاً – الدوريات الأجنبية

- Fine, Janice: Migration and Migrant Workers in the Post-Apartheid Era, Global labour journal, Vol. 5 No. 3, September 2014
- Massey, David: Class Struggle and Migrant Labor in South African Gold Mines, Canadian Journal of African Studies / Revue Canadienne des Études Africaines, Vol. 17, No. 3, Special Issue: South Africa (1983), Published by: Taylor & Francis, Ltd. on behalf of the Canadian Association of African Studies

-
- Murray, Martin J.: 'Blackbirding' at 'Crooks' Corner': Illicit Labour Recruiting in the Northeastern Transvaal, 1910-1940, Journal of Southern African Studies, Vol. 21, No. 3 (Sep. 1995), Published by: Taylor & Francis, Ltd

خامساً – الأوراق العلمية

- Godfrey, Kanyenze: African migrant labour situation in southern Africa, Paper presented at the ICFTU-AFRO conference on 'MIGRANT LABOUR, Labour and Economic development research institute of Zimbabwe (LEDRIZ), Nairobi, 15-17 March 2004
- Warwick, Peter: African labour during the south African war 1899 – 1902, collected seminar paper, institute commonwealth studies, no. 21, 1977.

سادساً – الرسائل العلمية

- Glover, Michael: Development as unfreedom: the role of development in the Transkei, 1886 – 1980s, Master of Arts in historical studies, faculty of humanities, university of cape town, 2015
- Rabe, Maria Elizabeth: Black mineworkers' conceptualization of fatherhood: A Sociological exploration in the south African goldmining industry, Doctor degree of Literature and philosophy (sociology subject), university of south Africa, November 2006
- Zogg, Philipp Emanuel: Who Mines What Belongs To All? A historical analysis of the relationship between the state and capital in the South African mining industry, Thesis presented in partial fulfilment of the requirements for the degree of Master of Arts (International Studies) in the Faculty of Arts and Social Sciences at the Stellenbosch University, south Africa, March 2011